

تحليل علاقات وقوى الانتاج في أستخراج

وصناعة اللؤلؤ في الخليج العربي 1900-1950*

م. د. توفيق يونان

جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية

توطئة

كتابات عديدة سواء من داخل المنطقة العربية أو خارجها، هي مبتسرة الفائدة على مستوى التحليل الوظيفي والبنوي لمجتمع الخليج والجزيرة العربية، حيث يتقلص لديها تاريخ المنطقة الى ثنائية باهتة تعتبر النفط هو الفيصل بين حقبة سابقة لم تعرف هذه المجتمعات خلالها، الا الرعي وممارسة نشاط بحري محدود، وحقبة القوة والغنى النفطي حيث عرفت معها هذه المجتمعات كل التحولات الاجتماعية والاقتصادية المعروفة... فهل من تعديل لهذه الصورة؟.

الخلاصة

بسبب محدودية الموارد الطبيعية، فإن سكان الخليج ومنذ القدم وجهوا جل نشاطاتهم توجهاً بحرياً: صيد الاسماك وصناعة اللؤلؤ العنصر الرئيس في حجم التشغيل، وتكوين الفائض الاقتصادي في المنطقة آنذاك. لقد تزايدت أهمية هذا النشاط بخاصة بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لرواج تجارة اللؤلؤ عالمياً، وأنفتاح الخليج على الدول الأوروبية التي شهدت نهضة صناعية متسارعة، وحيث وصلت الخليج العديد من بضائعها ذات الاسعار المناسبة والنوعية الافضل.

إن عدد العاملين في صناعته لم يقل عن 20-25% من مجموع العاملين في المنطقة خلال الربع الاول من القرن العشرين ويبين لنا المؤرخ J.G.Lorimer إن عدد العاملين وصل الى حوالي 90 ألف شخص من سكان قدر مجموعه بـ 300 ألف نسمة وذلك في أواسط العقد الأول من القرن العشرين. وبالإضافة الى العمل المحلي هناك وافدون من إيران والهند وباكستان مع وافدين من شرق أفريقيا، أستقدم العديد منهم كعبيد سخرهم مالكوهم للعمل في صناعة اللؤلؤ وذلك بالرغم من محاربة السلطات البريطانية آنذاك لأعمال القرصنة وتجارة العبيد في منطقة الخليج والمحيط الهندي.

تفصح التراتيب الوظيفية في صناعة اللؤلؤ عن وجود تسع فئات مُقسمة بدقة حسب نوع العمل الذي تقوم به كل فئة. والعنصران الفاعلان في العملية الانتاجية هما:-

التاجر "الممول": يُمول العاملين بسلف تصل فائدتها الى حوالي 25% على أساس الموسم الذي يستمر بين 4-5 أشهر. وغالباً ما يستحوذ على الجزء الاعظم من الارباح بطريقة أو بأخرى..

الغواص ومساعدته: يُلاحظ هنا تناقض واضح، فمن ناحية هما الحلقة الالهة والخطر في العملية الانتاجية وحيث لا يملك الغواص الا قابلياته البدنية أثناء عملية الغوص؛ ومن ناحية أخرى هما من أكثر المتضررين مادياً واجتماعياً وصحياً بين الاطراف الاجتماعية المشاركة في هذه الصناعة.

لم تعرف هذه المهنة نظاماً للأجور، بل كانت تعمل وفق طريقة "المحاصصة" ونادراً ما كان يحصل الغواصون ومساعدوهم على ما يسدون به سلفهم وديونهم السابقة مع فوائدها المتزايدة.

النقطة المركزية: ان العاملين عادةً ما يبقون في دين مستديم، وهذا ما يخول الممول حسب العرف السائد آنذاك والذي هو بمثابة قانون مُلزم من الابقاء عليهم للعمل في المواسم اللاحقة.

لقد تراجعت صناعة اللؤلؤ منذ أوائل ثلاثينيات القرن الماضي، أثر اجتياح اللؤلؤ "الرخيص" المستزرع في اليابان ومناطق أخرى من العالم. ومن حسن حظ المنطقة ان صادف ذلك البدايات الاولى للاكتشافات النفطية حيث انتقل العديد من العاملين فيها الى الصناعة النفطية الحديثة.



المقدمة

بسبب محدودية الموارد الطبيعية، فإن سكان الخليج ومنذ القدم وجهوا جل نشاطهم توجهاً بحرياً. فعلى الرغم من ممارسة التجارة والتوسط في خدمات النقل البحري والبري، فإنهم مارسوا بأقتدار نشاطات تتعلق بأعمال البحر كصيد الاسماك، وصناعة اللؤلؤ: العنصر الرئيس في تكوين الفائض الاقتصادي آنذاك، وبناء السفن والقوارب. كما مارسوا الزراعة وهي مصدر دخل وطريقة للعيش اينما توفر الماء والتربة الصالحة للزراعة في الواحات والمدرجات كما في عُمان واليمن، إضافة الى الصناعات الحرفية والمنزلية.

ان النشاط التجاري بالرغم من اهميته، تعرّض الى تراجع ملحوظ خاصة منذ منتصف القرن التاسع عشر إثر انفتاح الخليج على العديد من البضائع الاوروبية المتنوعة بأسعارها المناسبة ومواصفاتها العالية مقارنة بسلع المناشئ التقليدية.

لقد شهد الخليج مع كل هذه التطورات، ونتيجة لها، تزايد نشاط المبعوثين الدوليين والرحالة والشركات التجارية الدولية والاخرى ذات النشاط البحثي والاستكشافي من بريطانية وهولندية وفرنسية وغيرها، والتي لم تكتف بالسيطرة على النشاط التجاري وحركة النقل في مياه الخليج، بل استحوذت على حركة النقل بين موانئه الى شبه القارة الهندية وشرق أفريقيا. وبسبب ذلك تقلصت حركة الفرد الخليجي مرة اخرى، فلم يجد امامه الا التركيز على النقل المحلي المحدود، وصيد الاسماك وصناعة اللؤلؤ كسلعة تسويقية، وحيث شهدت نشاطاً ملحوظاً خاصة منذ منتصف القرن الثامن عشر ولغاية خمسينات القرن الماضي.

ان الدارس لظروف العمل والعمال قبل اكتشاف وانتاج النفط لابد ان يركز على صناعة اللؤلؤ كطريقة للانتاج متوارثة ومورثة لاهميتها فيما يتعلق بحجم التشغيل في نظام للعمل هرمي التكوين له خصوصيته واهميته في نسج العلاقات الاجتماعية والمادية باعتبارها المورد الرئيس في تكوين الفائض الاقتصادي على المستوى الكلي.

هدف البحث

يهدف البحث من بين ما يهدف اليه عرض وتحليل طبيعة علاقات وقوى الانتاج في صناعة اللؤلؤ- أساس تكوين الفائض الاقتصادي- خلال النصف الاول من قرن العشرين، وذلك للكشف عن حقيقة الخلل والغبن الذي كان يلحق بالعاملين عامة والغواصين خاصة باعتبارهم يمارسون أخطر حلقة في العملية الانتاجية لصالح المتنفذين مادياً وأجتماعياً من شيوخ وحكام وتجار وأصحاب سفن.

فرضية البحث

الفرضية المركزية تتساءل "في ما إذا كانت شروط العمل ونشاط العاملين في صناعة اللؤلؤ تحكّم قواعد وضوابط واضحة تضمن حقوق العاملين وواجبات أرباب العمل بحيث يمكن اعتمادها نواة لولادة سوق للعمل وفق القواعد والشروط المعروفة لآلية أسواق العمل.

وتأسيساً على ما تقدم في الامكان تدارس الموضوع وفق المباحث التالية:-

المبحث الأول: الوضع العام وتقديرات السكان والعاملين في صناعة اللؤلؤ.

المبحث الثاني: تمويل الانتاج والعمليات الانتاجية.

المبحث الثالث: طبيعة العلاقات الانتاجية.

المبحث الرابع: تحليل الاسس الاجتماعية والمادية التي قامت عليها علاقات العمل في صناعة اللؤلؤ.

ومن خلال البحث والتقصي بين جوانب الدراسة لابد من صياغة بعض الاستنتاجات المفتوحة.



المبحث الأول- الوضع العام وتقديرات السكان والعاملين في صناعة اللؤلؤ

نود ان نبين بادئ ذي بدء فيما يتعلق بالزمان والمكان، ان هذه الدراسة تركز في مسيرتها على الحقبة الممتدة طوال النصف الاول من قرن العشرين وقد تلجأ الى الرجوع الى عقود سابقة عندما يتطلب الامر ذلك، وتغطي جغرافياً اراضي دول مجلس التعاون الخليجي في البر والبحر.⁽¹⁾ ويركز هذا المبحث على تدارس الوضع العام في المنطقة وتأثرها بالاضاع الاقليمية والدولية أولاً وتقديرات السكان والعاملين في صناعة اللؤلؤ ثانياً.

أولاً: الاوضاع العامة

من الناحية الاستراتيجية نجحت بريطانيا عند منتصف القرن التاسع عشر وبشكل هادئ من تحقيق ما يسمى بالخطة الاميرالية التي خطط لها البرتغاليون وفشلوا في تحقيقها.. ففي سنة 1688 استحوذ البريطانيون على مضائق "ملقا"- في جنوب شرق آسيا- ذات النفوذ الهولندي، وتحكموا بذلك على طريق التجارة الى الصين وجزر الهند الشرقية. وبعد احكام سيطرتهم على الهند في اواخر القرن السابع عشر وزحزحتهم لمواقع الهولنديين في الخليج سنة 1765، نجح البريطانيون في ايجاد موطن قدم لهم في مسقط سنة 1798. وبذلك أستطاعوا التحكم بالتجارة عبر مضيق هرمز الى الخليج العربي.⁽²⁾ وفي سنة 1839 احتلوا عدن الباب الاستراتيجي الى البحر الاحمر صعوداً الى سوريا ومصر وأطراف شرق أفريقيا وبذلك تكون بريطانيا قد احكمت سيطرتها الادارية على الخليج والجزيرة العربية، وأخضعتهم الى حكومتها في الهند. وبهدف احكام السيطرة على كامل المنطقة، لجأت بريطانيا من بين ما لجأت اليه الى:

- منع تجارة الاسلحة.
- التضييق على تجارة الرقيق.
- ملاحقة ما يسمى "بالقرصنة" في مياه المحيط الهندي والخليج العربي.
- لقد ذهبت بريطانيا ومنذ سنة 1820 الى ابعد من ذلك، حيث قيدت النظام القبلي وشيوخه باتفاقيات ومعاهدات مانعة "Exclusive Agreement" افقدت النظام حرية التصرف بأرضه وممتلكاته وكذلك الاتصال مع العالم الخارجي الا عن طريقها وموافقتها؛ فعلى سبيل المثال فإن الاتفاقيات والمعاهدات المعقودة خلال الفترة 1820-1916 فرضت بريطانيا بموجبها الحماية على الامارات والمشايخ ونظمت علاقاتها الخارجية وقيدت الشيوخ والحكام بجملة أمور منها:
- الامتناع عن عقد اتفاقيات وأجراء اتصالات من أية نوع كان، ومع أية جهة كانت عدا بريطانيا وبموافقتها.
- عدم التنازل او التخلي، او بيع الاراضي الواقعة تحت تصرفهم لأية جهة أو دولة خارجية دون موافقة بريطانيا.
- عدم منح أية نوع من الامتيازات لأستغلال النفط وغيره من المعادن لأي دولة كانت، أو مؤسساتها الا بعد استحصال موافقة بريطانيا.⁽³⁾
- اما الولايات المتحدة الامريكية فقد توضح دورها في المنطقة خلال الحرب العالمية الاولى، وتزايدت حدة الصراع على تقاسم الامتيازات النفطية مع بريطانيا ودول أخرى في فترة ما بين الحربين العالميتين وهذا ما سيكون موضوع بحث في دراسة قادمة.
- أما فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي في المنطقة بشكل عام فقد أقتصرت على زراعة محدودة ايما توفر الماء والتربة الصالحة للزراعة؛ والتجارة هي الاخرى محدودة لم تشكل مجالاً واسعاً للعمل وكذلك حال صيد الاسماك وصناعة السفن والقوارب.
- وأمام هذا الوضع لم يبق لأهل الخليج مجال أرحب للعمل والكسب إلا الغوص على محار اللؤلؤ، وهو نشاط تقليدي يعود الى تاريخ ضارب في القدم محصور بيد فئات متنفذة في المجتمع من تجار واصحاب سفن وممولين، عادة ما كانوا موالين للأسر والفئات الحاكمة.



ثانياً: تقديرات السكان والعاملين في صناعة اللؤلؤ

ان تنقلات الجماعات والقبائل القاطنة على سواحل الخليج وداخل الجزيرة العربية لم تُعقها الحواجز "السياسية" والجغرافية الوهمية، حيث ان اختلاط الجماعات الوافدة بالآخرى المستقرة لم تعقه الاصول العرقية او القبلية او المرجعيات المذهبية (4) هذا من ناحية.

ومن ناحية اخرى فان البحث الشاق عن مستلزمات الحياة الضرورية، بجانب قساوة الظروف الطبيعية في العديد من مناطق الجزيرة العربية وشرق افريقيا، دفع العديد من الافراد للانتقال حيث الجماعات المستقرة نسبياً على شواطئ الخليج. فالمحطات البحرية الايرانية بندر عباس، بوشهر، لنجة، جبرو على سبيل المثال كانت تضم حتى بداية القرن الماضي خليطاً من البلوش والعرب والرقيق (5)، اضافة الى سكانها الايرانيين (6). كما لوحظ نزوح العديد من الجماعات العربية والفارسية والهندية من سواحل الخليج الشرقية الى سواحل الغربية بفعل عوامل منها:

1- تنامي العلاقات التجارية فيما بين هذه المناطق إثر أنتعاش صناعة وتجارة اللؤلؤ بخاصة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

2- تحول خطوط النقل البحري من الساحل الشرقي للخليج الى ساحله الغربي إثر تزايد احتمالات وجود النفط بكميات تجارية، والتوصل الى حقول منتجة. وليس صدفة انتقال المقيم السياسي البريطاني من السواحل الايرانية الى البحرين في العقد الثاني من القرن الماضي، وتراجع لنجة على الساحل الشرقي للخليج كميناء تجاري هام.

وبخصوص أعداد السكان والعاملين في صناعة اللؤلؤ، وأهمية الفصل بين العمال المحليين والوافدين ونظراً لشح البيانات وغموض اسلوب العمل في هذه الصناعة وتباين الارقام للحقبة موضوع البحث، فلم يبق الا اللجوء الى التقديرات الموثوقة، كتقديرات Lorimer ذائعة الصيت (7) وبالرغم مما يؤخذ عليها من تحفظات، الا انها تشكل الاساس عندما يتعلق الامر بتقديم تقديرات عن تلك الحقبة* وفيما يلي بعض من تلك التحفظات:-

- لم تفصل العديد من الدراسات والتقديرات بين العمال المحليين والوافدين. علماً بأن هذا الفصل له أهميته في تدارس وتحليل أسلوب العمل في الخليج في العقود اللاحقة لهذه الدراسة.

- بالرغم من اختلاف هدف نشاط جمع محار اللؤلؤ عن صيد الاسماك، إلا أنه قد يحصل احياناً تداخل في عائدة العاملين بهما، وذلك جراء انتقال احدهما الى الآخر نظراً للطبيعة الموسمية لنشاط صناعة اللؤلؤ (8)

- بالإضافة الى ما تقدم، فإن الصورة التي سيتم التوصل اليها تمثل اعداداً غير ثابتة في منطقة صحراوية محدودة الموارد. هذه العوامل تجعل التقلبات السريعة في حجم السكان والعاملين امراً متوقفاً، تتغير بمقتضاها اعدادهم لتتناسب مع الاحوال والظروف (9) وهذا يؤدي الى تذبذب نسبة نمو السكان، لا بل في فترات الشح بالإضافة الى عوامل كالهجرة وانتشار الابونة يحتمل ان تكون نسبة النمو السكاني سالبة. واطاراً الى ما تقدم من المناسب أعداد تقديرات بهدف التوصل الى صورة أدق لاعداد العاملين في صناعة اللؤلؤ من محليين ووافدين وذلك لألقاء الضوء على حركة الهجرة في المنطقة منذ ذلك التاريخ.

ثالثاً: تقديرات حجم العاملين المحليين والوافدين في صناعة اللؤلؤ

تذكر اغلب الوثائق والدراسات بما فيها التقديرات ان نسبة كبيرة من العاملين في صناعة اللؤلؤ كانت تفر الى مناطق الانتاج من غرب ايران والهند. ومن شرق افريقيا حيث أغلبهم من العبيد، بالإضافة الى آخرين من داخل الجزيرة العربية وجنوب العراق (10)

النقطة الهامة ان تلك الدراسات لا تفصل في ارقامها بين المحليين والوافدين، ونظراً لأهمية ذلك لتتبع حركة الهجرة في المنطقة منذ تلك الحقبة فإن الامر يتطلب اللجوء الى اعداد تقديرات تعتمد على اختيار فترة تاريخية تتوافر عنها ارقام واحصاءات، تصلح للبحث والتحليل لتقدير حجم العاملين من محليين ووافدين الى أهم مناطق صناعة اللؤلؤ في الخليج.

وتطميناً لما تقدم أعلاه نشير الى الجدول رقم (1) المتضمن تقديرات السكان والعاملين في صناعة اللؤلؤ في المنطقة للسنوات 1906-1907، ويعود اختيار هذه الفترة لتوفر حشد من الارقام تصلح لتغطية مراكز صناعة اللؤلؤ كافة؛ كما هي السنوات التي خلت من المؤثرات الخارجية كالحربين العالميتين، وهي كذلك سبقت تراجع صناعة اللؤلؤ، والازمات الاقتصادية العالمية خلال ثلاثينيات القرن الماضي. كما هي الحقبة الواقعة ضمن السنوات المحددة لهذه الدراسة.

البيانات	1	2	3	4
----------	---	---	---	---



رقم	عدد السفن العاملة في صناعة اللؤلؤ	نسبتهم من اجمالي السكان %	العاملون في صناعة اللؤلؤ	اجمالي السكان	جدول (1) تقدير
	461	25	9250	37000	الكويت
	167	7	3500	50000	الاحساء*
	917	18	17833	99075	البحرين
	817	48	12960	27000	قطر
	1215	31	22320	72000	ساحل عُمان**
	3577	23,5	65863	258075	المجموع

اجمالي السكان والعاملين في صناعة اللؤلؤ في مناطق مختلفة من الخليج 1906-1907

*يفترض ان جميع العاملين في الاحساء هم من المحليين، وذلك لدفعها بضعة آلاف للعمل في مناطق أخرى أكثر أهمية في صناعة اللؤلؤ.

** قبل قيام دولة الامارات العربية المتحدة سنة 1971 كانت أراضي الدولة والمشايخ الاخرى تحمل تسمية امارات ساحل عُمان أو الساحل المتصالح، ووثائق سكانها تحمل صفة عُمانى، وسفنهم ترفع العلم العمانى..

المصادر: الاعمدة: 1,2,3 احتسبت من:-

- محمد الفراء، التنمية الاقتصادية في الكويت، مصدر سبق ذكره، 1974، ص ص68, 69.

- خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، مصدر سبق ذكره، ص93.

- العمود رقم 4 احتسب من:- G.Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, op.cit Vol 2, pp2250, 2295.

أُعتمد في اعداد التقديرات موضوع البحث على بعض الاحصاءات السكانية الرسمية المتوفرة كأحصاء البحرين لسنتي 1950,1941 واحصاء الكويت لسنة 1957، فضلاً عن العديد من الوثائق والمعلومات تعود أغلبها الى فترة ثلاثينيات القرن الماضي.

فإذا ما افترضنا ان الوضع الديمغرافي لهذه الفترات يمكن ان يؤخذ كمؤشر للتدليل على الوضع الديمغرافي في الخليج لحقبة ما قبل الحرب العالمية الاولى، خاصة وان اثر النفط المادي والاجتماعي لم يتبلور بعد، لا يمكن الاستمرار في التحليل والاستنتاج من هذه الاحصاءات والدراسات- بصورة أكثر مقاربة للواقع- ان نسبة السكان النشيط بين 12-59 سنة، كان بحدود 58% من الحجم الكلي للسكان.

في حال تطبيق هذه النسبة على بقية سكان الخليج، والافتراض تحكيمياً ان نسبة الذكور في المجتمع الخليجي هي بحدود 50% من الحجم الكلي للسكان؛ وهذا يعني ان نسبة السكان في سن العمل من الذكور هي 29%؛ باعتبار ان لا ظروف المجتمع، ولا طبيعة النشاط البحري في هذه المجتمعات تسمح بعمل المرأة، الا في حالات نادرة.

وما دمنا بصدد استخلاص نسبة العاملين المحليين في صناعة اللؤلؤ، فإننا نجانب الحقيقة اذا ما سلمنا بأن كل الذكور في سن العمل (29%) يعملون في هذه الصناعة، حتى لو شملت صيد الاسماك.

في الامكان تطويع الفرضيات السابقة واقترح نسبة تحكيمية للعاملين المحليين في هذه الصناعة. ففي اقصى الاحتمالات لا يمكن ان تتجاوز 50% من الذكور في سن العمل، اي 14,5% من مجموع السكان النشيط (من هم في سن العمل).

وتأسيساً على ما تقدم فإن حجم العاملين المحليين والوافدين في هذه الصناعة هو 28277,37586 على التوالي كما هو موضح في جدول رقم (2) التالي:



جدول رقم (2)

تقدير العاملون المحليون والوافدون في صناعة اللؤلؤ 1906-1907.*

ملاحظة: التقديرات كانت تجري عادة خلال ذروة الموسم

البيانات المنطقة	تقدير العاملين المحليين	نسبتهم من اجمالي السكان %	تقدير العاملين الوافدين	نسبتهم من اجمالي السكان %	مجموع العاملين	عدد السكان المحليين
الكويت	5365	14,5	3885	10,5	9250	33115
الاحساء	3500	7	-	-	3500	50000
البحرين	14366	14,5	3467	3,5	17833	95608
قطر	3915	14,5	9045	33,5	12960	17955
ساحل عُمان	10440	14,5	11880	16,5	22320	60120
المجموع	37586	13,1	28277	9,9	65863	229798

* أعتمدت هذه التقديرات فيما اعتمدت على الارقام الواردة في عمود رقم (2) من جدول رقم (1) السابق.

وإذا كان مجموع العاملين (المحليين والوافدين) للفترة موضوع البحث 65863 خلال الموسم، الا انه كان يصل في بعض السنوات وخلال فترة الغوص الكبير (الذروة) الى ما بين 70- 80 ألف شخص، وقد قدر Lorimer خلال مشاهداته في أوائل قرن العشرين انه كان هنالك بحدود 74000 رجل كانوا مرتبطين في نشاط صناعة اللؤلؤ⁽¹¹⁾. ويذكر النقيب ان العدد وصل خلال عشرينيات القرن الماضي الى حدود 90 ألف شخص وبذلك لا بد ان يرتفع عدد الوافدين الى ما بين 20-30 ألف شخص وهذا ما يطابق النتائج التي توصلنا اليها من فرضياتنا السابقة. وللتدليل على ما توصلنا اليه يذكر Lorimer أيضاً انه كان يفد الى الكويت للمشاركة في موسم اللؤلؤ من 2000-3000 شخص اغلبهم من عرب الساحل الايراني وجنوب العراق.⁽¹²⁾ كما كان يفد الى قطر بحدود 3000 شخص من الساحل الايراني وجنوب العراق وشرق افريقيا. وفي ساحل عُمان كان العجز يتراوح بين 8000-10000 شخص يفد غالبيتهم من المناطق السابقة نفسها.

أما بشأن جنسية (بلد الاصل) الوافدين، تبين العديد من الكتابات وفي مقدمتها كتابات Lorimer وكتابات Seccombe المعاصرة، ان العديد من هؤلاء العاملين الوافدين كان من البلوش انتقل اغلبهم الى الساحل الغربي للخليج عن طريق عُمان. يُضاف الى ذلك عرب جنوب ايران وبعض العناصر من داخل الجزيرة العربية. وخلافاً لما يعتقد البعض، نرى بأن هذا الداخل لم يكن دائماً مستعداً لمد صناعة اللؤلؤ بالعدد المطلوب من العمالة اللازمة لاسباب منها:-

- ان موسم نشاط اللؤلؤ يتزامن عادةً مع فترة جني محصول التمور في الواحات ومناطق زراعته التقليدية هذا من ناحية. ومن ناحية اخرى، فان موسم اللؤلؤ يُصادف فترة انتقال مُربي الحيوانات والرحل نحو الشمال تتبعاً للعشب والماء ولتصريف منتجاتهم.
- ان طبيعة العمل في صناعة اللؤلؤ، لا تشابه المهنة والحرف الاعتيادية الاخرى، بخاصة فيما يتعلق بعملية الغوص. ففضلاً عن مخاطرها فهي تتطلب تدريباً طويلاً واستعداداً جسدياً لا يتوافر لدى العديد. وحيث لا يملك الغواص من وسائل تساعده على البقاء تحت الماء، الا امكاناته الجسدية. وهذه متطلبات لا تتوافر حتى عند العديد من قاطني السواحل ذوي التوجه البحري اصلاً، فكيف تتوفر عند سكان الداخل والصحراء.



كما ان شرق أفريقيا وبعض الجزر القريبة منها كانت تمد الخليج بالعديد من العاملين، "استقدم" العديد منهم "كعبيد". وتجمع العديد من المصادر ان تجارة الرقيق التي استمرت حتى النصف الاول من القرن الماضي كانت تُدر مردوداً مالياً مهماً للعديد من التجار الاجانب والمتنفذين من شيوخ الخليج بالرغم من اجراءات وتضييقات السلطات البريطانية في الخليج فيما يتعلق "بتحريم تجارة العبيد". فعلى سبيل المثال كانت مشيخة قطر تتقاضى بحدود 80 روبية Rupees عن دخول كل فرد من الافارقة بما فيهم "العبيد" والبلوش والعُمانيين.⁽¹³⁾

وفي سنة 1935 قَدِرَ عدد العبيد الافارقة على الساحل الغربي للخليج بحدود 7000 شخص.⁽¹⁴⁾ وإذا كانت العمالة الوافدة للعمل في صناعة اللؤلؤ موسمية في غالبيتها؛ فإن نسبة مهمة من الوافدين المستقرين ذوي تخصصات مهنية مختلفة كالتجار والصيارفة واصحاب حرف مختلفة، سعوا للحصول على الجنسية بمرور الوقت.

ان تراجع صناعة اللؤلؤ منذ اوائل الثلاثينيات اثر ظهور اللؤلؤ "الرخيص" المستزرع في اليابان ومناطق أخرى من العالم⁽¹⁵⁾، تراجع لم يكن في الامكان تلافيه مع ازمة Wall street لسنة 1929، والهبوط المالي الحاد منذ اوائل الثلاثينات⁽¹⁶⁾. كل ذلك انعكس على ركود النشاطات التجارية والصناعات المكملية كبناء واصلاح السفن والقوارب. كما وأدى ذلك الى ترويدي الاحوال الاقتصادية للتجار والعاملين في صناعة اللؤلؤ.

ويذكر Lorimer على سبيل المثال ان عدد الغواصين حول جزر البحرين تناقص اثر الاضطرابات وأعمال الشغب لسنتي 1931، 1932 من معدل 20 ألف شخص ليستقر الى حدود 12 ألف سنة 1935، حتى ان الازمة المالية وما نتج عنها من صعوبات مالية وتراجع في الاسعار كانت من العمق حيث دفعت بعض مالكي العبيد على طول ساحل عُمان "الساحل المتهدان" من بيع عبيدهم تجنباً لتكاليف أعالتهم.⁽¹⁷⁾ ولا يفوتنا أن نذكر أن تزايد الاعياء المالية لبعض قباطنة السفن والطواشين (تجار اللؤلؤ) والتجار الممولين والشيوخ المتنفذين فضلاً عن تشديد الاجراءات البريطانية المتعلقة بتحريم تجارة العبيد، اوحى كل ذلك للبعض بتشغيل "عبيدهم" في قطاع الصناعة النفطية الناشئ. ويؤكد Audsley الملحق العمالي في السفارة البريطانية بالقاهرة في تقرير له عن اوضاع العمال في قطاع النفط بقطر سنة 1949 وجود ما لا يقل عن 250 من العبيد المحليين العاملين في قطاع النفط.⁽¹⁸⁾

المبحث الثاني- تمويل الاتاج والعمليات الانتاجية

يغيب عن اذهان بعض المهتمين بدراسة صناعة اللؤلؤ في الخليج، معرفة الاهداف والاسس الحقيقية التي تقوم عليها عملية تمويل هذه الصناعة، وكيفية توزيع "تقاسم" محصول اللؤلؤ في نهاية الموسم. وفيما اذا تلحق هذه العمليات عُبن أو "أجحاف" بحق العاملين في هذا النشاط؟. ولم ينتبهوا فيما اذا حكمت نظام الاتاج (علاقات أجرية) العنصر الرئيس التي تقوم عليها الآلية التي تحرك اسواق العمل.⁽¹⁹⁾ لذا يتضمن هذا المبحث تدارس آلية التمويل ونظام "المقابلة" في فقرة اولى، ثم يُصار في فقرة ثانية تدارس الاسس التي كان يتم بموجبها توزيع العائد بين الاطراف الاجتماعية (العمل ورأس المال) المشاركة في العملية الانتاجية. وفي فقرة ثالثة يتم بحث ردود أفعال العاملين تجاه ظروف العمل الصعبة. أولاً- آلية التمويل ونظام المقابلة

1- آلية التمويل

يُعتبر الممول سواء كان تاجراً أو "طواش" أو "نوخذا" المحرك الرئيس في العملية الانتاجية، وسلوكيته تحدد الآلية المعقدة لنشاط الغوص على اللؤلؤ. أما الغواصون ومساعدوهم فهم العنصر الفاعل في العملية الانتاجية.⁽²⁰⁾

ونظراً لموسمية هذا النشاط فقد كان التمويل يتم على دفعات كالاتي:

- أ- جرت العادة التي حتمتها الضرورة أن يُسَلَف كل نوخذاً "بحارته" العاملين على سفينته مبلغاً من المال عقب أنتهاء الموسم يُطلق عليه محلياً "تسگام" Tisgam بمثابة عربون يرتبط بموجبه العاملون مع النوخذة "حصراً" وذلك للعمل معه في الموسم اللاحق.
- وتبدأ العملية الانتاجية في الموسم الجديد بأن يجمع كل نوخذة العاملين المسجلين لديه في نهاية الموسم السابق وذلك لأعداد السفينة وتجهيزها لرحلة الغوص.⁽²¹⁾
- ب- قبل المغادرة لرحلة الغوص، يقدم النوخذة الى العاملين سلفة نقدية "خرجية" لسد نفقات معيشة عوائلهم خلال غيابهم. على ان تسترد منهم حال بيع محصول اللؤلؤ نهاية الموسم.⁽²²⁾
- ج- هناك سلفة تُمنح للعاملين مباشرة حال أنتهاء رحلة الغوص، وتغطي فترة قد تطول أو تقصر لحين بيع محصول اللؤلؤ. كما هناك سلف أخرى متفرقة يطلبها بعض العاملين خلال الموسم لسد حاجات أنية. وكل هذه السلف والديون تُسجل في سجل النوخذة.



ويذكر الريمحي انه بمجرد أخذ الغواص او السيب سلفة النوخذا او ممول آخر. فإنه يكون قد ربط نفسه بالعمل معهم لسنين طويلة.. الى ان يشتري دينه أحد الممولين الآخرين، عند ذاك ينتقل للعمل لدى الاخير مع دينه.⁽²³⁾

الملفت أن جميع هذه السلف والديون المفروضة على العاملين تترتب عليها فوائد تتراوح في العادة بين 15-20% وتُفرض على اساس الموسم الواحد وليس السنة. وهناك أساليب ملتوية لتميرير مثل هذه الديون وفوائدها كنظام "المقابلة"، فما المقصود به؟.

2- نظام المقابلة

جرت العادة ان النوخذا غالباً ما يلجأ الى الاستدانة من التجار والممولين ذلك تهيئاً لرحلة الغوص، ولما كان بين هؤلاء - المُقرض والمقترض - من يستحرم "الربا" ولو ظاهرياً فإنه يلجأ الى عملية التفاف باستخدام آلية للأقراض تدعى "المقابلة"، وهي نظام "شيطاني" حسب تعبير الريمحي خلاصته ان يعرض التاجر بضاعة ما على النوخذا بثمن معين، ثم يعمد الى شراء نفس البضاعة لاحقاً بثمن منخفض، دون ان تبرح تلك البضاعة محل التاجر.. ويستلم النوخذا الثمن نقداً. وعادةً ما يُرحل الفرق بين السعيرين (الفائدة) أو "الربا" الى سلف العاملين في صناعة اللؤلؤ بطريقة أو أخرى..⁽²⁴⁾

النقطة المركزية في هذه الدراسة ان عملية الغوص تقوم بالأساس على آلية او نظام الاستدانة Debt system كما يؤيد ذلك احد المطلعين عن قرب على هذه الحرفة.⁽²⁵⁾ هذا وتتطابق ملاحظات Lorimer مع الواقع فيما يتعلق بنسب الفائدة. فالمبالغ التي يقدمها النوخذا للغواصين وبقية العاملين على الحساب تخضع لفائدة تتراوح بين 10-25% عن الموسم الواحد. وفي الاحوال التي يستلف فيها النوخذا الاموال من التجار او الشيوخ المتنفذين فإن نسب الفائدة التي يتحملها العاملون قد تصل في النهاية الى حدود 50% عن الموسم الواحد ايضاً. ومن الجدير ذكره أن شرعية هذه الفوائد حق يعترف به العرف السائد- بمثابة قانون- الذي تعمل بموجبه صناعة اللؤلؤ. والغريب انه حتى قوانين الاصلاح العام الصادرة في مناطق متفرقة من الخليج بين الحربين العالميتين بأيعاز وتوجيه السلطات البريطانية في الخليج، لم تنص صراحةً على حق الغواصين ومساعدتهم الاطلاع الدقيق على تفصيلات الفوائد والديون المتركمة عليهم. وحال انتهاء موسم الغوص وتقاسم المحصول، على العاملين تسديد ديونهم. وفي حال عدم التمكن من ذلك فعادةً ما تُرحل الديون من موسم الى آخر، والى ورثتهم من بعدهم⁽²⁶⁾. ويذكر الريمحي، ان اغلب العاملين لم يكسبوا من عملهم ما يكفي لتسديد ديونهم، لذا فهم مجبرين للعمل عند نفس النوخذا "الربان" على توالي المواسم.⁽²⁷⁾ علماً بأن هذا النوع من الديون لا يُلغى بموت صاحبها، وأما يورثها أبناؤه مع فوائدها. وقد سُجلت حالات كان الدائن يفصل الامور بالزواج من ارملة الغواص سداداً للدين.⁽²⁸⁾

كما لوحظ آنذاك ان بعض "النواخذة" كانوا يزورون في دفاتر حساباتهم للأبقاء على العاملين النشيطين لديهم في دين مستديم.

الواضح انه مادام العاملون مدينين لنواخذهم فهم مجبرون للعمل معهم على تتالي المواسم. كما ان الاعراف كانت تُحرم على الغواصين الانتقال الى رب عمل آخر الا بعد الحصول على ترخيص بذلك من صاحب العمل الاول، وفي هذه الحالة عليه ان يدفع له بما قد يصل الى 25% مما سيحصل عليه من رب العمل الجديد.

وعلى هذا النحو رزح الجميع تحت طائل الديون.⁽²⁹⁾

إن الترابط الطوعي بين أطراف العملية الانتاجية بالرغم من تعارض مصالحهم هو اداة حققت للمتنفذين مآربهم، فلم تكن هناك حاجة لأشاعة نظام للرق أو العبودية، حيث ان امتلاك عمل الانسان في هذا النظام أجدى من امتلاك الانسان نفسه، والاضطرار الى اعالته.⁽³⁰⁾



ثانياً- أطراف العملية الانتاجية، توزيع العائد، "نظام المحاصصة"

أختلال في آلية عمل مراكز القوة بين الفئات الاجتماعية Rapport de force

تجمع العديد من الوثائق والكتابات ان عائد العمل في صناعة اللؤلؤ كان له وضع خاص، حيث ان احداً من العاملين لم يكن يتقاضى اجراً معلوماً عن جهوده. فقد كان نصيب العامل من عمله متوقفاً على ما تصادف العملية برمتها من محددات انتاجية واجتماعية؛ بمعنى ان هذا النشاط لم يُجرب آلية العلاقات الاجرية Rapport Salarial. ولم يخبر سلباً للأجور. ومن هنا يتأتى دافع الاهتمام بهذا الموضوع. النقطة الهامة الاخرى التي كان لها دورٌ في ارباك العملية الانتاجية، ان العاملين بخاصة الغواصين والسيوب- ويمثلون معظم العاملين على ظهر السفينة خلال الرحلة- عادة ما يملكون أدوات الانتاج البسيطة التي يستعملونها، والاهم امكاناتهم الذاتية والجسمية، وهي لاتتوفر لدى العديد من العاملين⁽³¹⁾. هذا الوضع اوجد لديهم شعوراً وهمياً بحرية الانتقال من رب عمل الى آخر، في حين ان كل الشواهد آنذاك تجمع على ان الغواص اذا ما التزم بعمل لدى نوخذاً (رب عمل) معين، فلربما قضى جل حياته أو كلها بنفس العمل وعند رب العمل ذاته. وهذه مسألة اخرى ذات أهمية بالغة في تعقيد الاشكالية.

هذا وتتميز عملية توزيع الحاصل بوجود حسابات دقيقة نسبياً، ومتباينة النتائج في نفس الوقت. الدقة النسبية للحسابات كون عملية توزيع الحاصل تتم وفق معايير ونسب متفق عليها على مستوى العرف، هي أقرب الى نظام المحاصصة. والتباين ناتج عن الغبن والاجحاف الذي كان يلحق بالعاملين وبخاصة الغواصين ومساعدتهم؛ وهم العنصر الفاعل في العملية الانتاجية كما نوهنا سابقاً.

ان توزيع المحصول كان يتم وفق حصص محددة سلفاً تدعى محلياً "كلاطة" وبعده صيغ حسب مناطق انتاج اللؤلؤ، فالشائع منها كالآتي:

يلتزم النوخذة ببيع محصول اللؤلؤ الى التاجر "الطواش" في حالة تمويل الاخير للحملة بسعر يقل من 15-20% عن سعر السوق. وفي حالة تحمل النوخذة تمويل الحملة فهو يسعى لبيع المحصول بسعر السوق.

وفي الكويت- كما في المناطق الاخرى على وجه التقريب- يتم توزيع الحاصل على الوجه الآتي:⁽³²⁾

- 1- يُسْتَقَطُّ عادةً خُمس الحاصل (20%) حصة السفينة (مالك السفينة).
- 2- تُسْتَقَطُّ تكاليف المواد الغذائية وأية مصروفات تستلزمها رحلة الغوص.
- 3- يُوزَعُ الباقي "العائد" على الاطراف المشاركة في العملية الانتاجية والحكام كالآتي:⁽³³⁾

- ثلاثة اسهم للنوخذة.
- ثلاثة اسهم للغواص الواحد.
- ثلاثة اسهم للحاكم (غواصة الحكومة) حسب التعبير المحلي.
- سهمان لكل سيوب.
- سهم واحد لكل رضيعف.
- سهمان للطاهي (المعزّب).
- سهمان للنهام (المنشد البحري).

وفي البحرين كان يُطبق نظام لتوزيع العائد يدعى "بالسلفية" مشابهاً لما معمول به في الكويت. الا ان آلية تطبيقه كانت تلحق غبن اكبر بحق الغواصين وبقية العاملين.

ولأول وهلة قد يُفهم ان ما تقدم يُعبر عن عدالة القسمة للعائد. الا ان ما كان يجري لم يُعبر عن العدالة بشيء؛ فهي ظاهرة بديلية:

- أنحياز العرف الذي هو بحكم "القانون" في هذه المجتمعات الى جانب التجار والممولين والنواخذة وبقية المنتفذين وذلك لاختلال عمل مراكز القوة العائلية والعشائرية Rapport de Force وتسلط الحكام والمنتفذين الاخرين.
- ارتفاع نسبة الفائدة "الربا" على قروض العاملين بخاصة الغواصين منهم، أو تعدد اوجه فرضها، واحتسابها على اساس الموسم - أربعة أشهر- وليس على اساس السنة.
- ربط العاملين وبخاصة الغواصين ومساعدتهم بحلقة الديون المفرغة، واضطرارهم العمل عند نفس النوخذة حتى لو لم يحققوا ما يرضيهم.

- الغبن يلحق بالاساس الغواصين ومساعدتهم، فهم من ناحية يشكلون العدد الاكبر بين العاملين، ومن ناحية ثانية هم العنصر الفاعل في العملية الانتاجية، فضلاً عن خطورة وصعوبة عملهم، وليس لهم سبيل لتفادي هذه المخاطر والصعوبات الا امكاناتهم وقابلياتهم الجسدية.

- أحقية تاجر اللؤلؤ (الطواش)- ان كان قد مَوَّلَ رحلة الغوص- شراء محصول اللؤلؤ بأقل من السعر السائد بنسبة تتراوح بين 15-20% (حسب المناطق). وهذا ينعكس سلباً على حصة العاملين. هذا اضافة الى موسمية العمل، وطول المدة بين الموسمين، وتذبذب العائد بين موسم وآخر.⁽³⁴⁾ ويصاحب ذلك ضيق فرص العمل خارج هذا النشاط.

المبحث الثالث- طبيعة العلاقات الانتاجية

مما لاشك فيه ان الحلقة الخطرة في العملية الانتاجية ينفذها الغواصون، ونظراً لمحدودية عرضهم - وذلك للصفة الانتقائية في اختيارهم، ولطول مدة تدريبهم- فأن مستخدميهم (النواخذة عادة)، يرون مصلحتهم



في الضغط على مردودهم المادي، وتهميش دورهم الاجتماعي، وبهذا يتم تحقيق غرضين في آن واحد: من ناحية يعمل هذا الوضع على ضغط النفقات الى أدنى حد ممكن. ومن ناحية ثانية فأن الغرض الآخر هو الإبقاء عليهم الى أطول فترة ممكنة، ومن هنا جاءت الغاية من ربطهم بديون مستديمة، حيث هم الطرف الضعيف "مادياً واجتماعياً" في العملية الانتاجية وذلك بفعل اختلال العلاقة بين القوى الاجتماعية كما سبق ذكره.

وينقل احمد سعيد الاصبحي عن شاهد عيان ما كان يتكرر خلال ثلاثينيات القرن الماضي في مراكز صناعة اللؤلؤ في الخليج فيذكر: "يعيش الغواص مجمل حياته كعبد... ومادام مديناً لمستخدمه، فإنه لا يستطيع ان يغيره بالرغم من أية معاملة سيئة تلقاها منه- ولا يستطيع ان يبرح المدينة إلا بعد ان يقسم أغلظ الايمان بأن يرجع اليها قبل بدء الموسم- وهو لا يستطيع ان يخرج من هذا الدين، وحيث انه لا يقرأ ولا يكتب، ولا شهود على ما يأخذ أو يستحق من القبطان، فإن الاخير لا يزيد على ما يأخذه من الغواص بالفعل بمقدار 50% في بعض الاحيان في دفاتره الخاصة"⁽³⁵⁾.

تلك بعض الممارسات التي كانت تقوم عليها صناعة اللؤلؤ في الخليج، وحيث تختزل بموجبها طموحات العاملين عند نهاية رحلة الغوص الى حدودها الدنيا. وهذا أيضاً ما يقتل من أهمية الادعاء بعدالة القسمة مهما كان نظامها أو طريقة توزيعها التي يدعيها بعض أطراف العملية الانتاجية. فالنوخذا والطواش (تاجر اللؤلؤ) هم الطرف الاقوى في العملية الانتاجية والمكانة الاجتماعية⁽³⁶⁾.

لقد تحدث البعض عن "أقطاع" و"قتانة" في هذه الصناعة. ووصف آخرون العاملين بـ"أشباه العبيد". ورأى آخرون نظام العمل هذا بأنه "نظام اقتصادي يقترب من العبودية"⁽³⁷⁾. ويرى الاصبحي بأن الغواص كان يعيش فعلاً "كالعبد"⁽³⁸⁾.

إن المدقق يلاحظ ان هذه التوصيفات أتت عامة ومطلقة في أحكامها، وقد لا تنطبق بدقة على ما كان يحصل بالفعل.

لقد فات هؤلاء ان بعض العاملين كانوا فعلاً من العبيد في صناعة اللؤلؤ والقطاعات الاخرى، سخرهم مالكوهم، من تجار خليجيين وأجانب وشيوخ متنفذين للعمل في هذه الصناعة وغيرها من الاعمال. هذا ما كان يحصل في قطر وساحل الامارات والكويت وعمان ومناطق اخرى. وان العديد من هؤلاء العبيد "نُقِل" الى الصناعة النفطية أثر تراجع صناعة اللؤلؤ في المنطقة- ابتداءً من ثلاثينيات القرن الماضي- بالإضافة الى مضايقات وأجراءات السلطات البريطانية في الخليج فيما يتعلق بتحرير تجارة الرقيق.⁽³⁹⁾

من الجدير بالذكر أن تجارة الرقيق كانت ضمن النشاطات التقليدية ذات المردود الاقتصادي المجزي للأفراد والحكام حتى النصف الاول من القرن العشرين في بعض المناطق. فعلى سبيل المثال كانت مشيخة قطر تتقاضى بحدود (80) روبية نظير دخول لكل فرد من العبيد الافارقة والبلوش وبعض العمانيين. وتتذبذب الاعداد- ارتفاعاً وانخفاضاً- مع قدوم أو انتهاء موسم الغوص على اللؤلؤ.⁽⁴⁰⁾ وتشير تقارير الحكومة البريطانية في الهند الى أن غالبية العاملين في صناعة الغوص في ساحل الامارات والبحرين، وقطر هم من جنوب إيران وعمان، هذا بالإضافة الى رقيق افارقة تزيد عددهم من 2000 فرد سنة 1929 الى حوالي 7000 فرد سنة 1935.⁽⁴¹⁾

محصلة ما تقدم، ان عملية احتكار وسائل الانتاج والانتاج نفسه من قبل الممولين، سواء أكانوا تجاراً أم طواشين، مالكي السفن، حكاماً وشيوخاً وتحكمهم في فرض نسب الفائدة على السلف الممنوحة للعاملين، وفرضها على اساس الموسم وليس السنة، واحتكارهم شراء المحصول في نهاية الموسم، وطبيعة الممارسات الخفية والمكشوفة التي كان يجري بموجبها توزيع العائد. كل ذلك أبقى الحلقات التالية في العملية الانتاجية وبخاصة الغواصين ومساعدتهم في دين مستديم؛ يصحبه تهميش متعمد ووضع مادي واجتماعي صعب.⁽⁴²⁾

لقد حقق ذلك الوضع للفئات العليا في العملية الانتاجية غاية، وأفرز نتيجة؛ الغاية هي رفع هامش الربح الى أقصى حد ممكن، وذلك بتهميش دور العاملين المادي والاجتماعي، وحيث يتم ربطهم "بحلقة الديون المفرغة" بهدف الإبقاء عليهم أطول مدة ممكنة؛ فضلاً عن ان هذه الوسيلة تحقق لهم استمرارية الحصول على العمل الرخيص، وهذه نتيجة في غاية الاهمية.



أن آلية *mécanisme* عمل العلاقات الموصوفة أعلاه أثرت، أو تكون صاحبت البدايات الأولى للتكوين المادي والاجتماعي للمجتمع الخليجي. فالرغبة في أبقاء وسائل الإنتاج والثروة في أيدي الفئة المتنفذة (مادياً واجتماعياً) أوجدت أو تكون قد ثبتت فئة اجتماعية لها أعرافها، وفيما بعد قوانينها الاجتماعية الصارمة. هذا الوضع يفسر أغلب الممارسات "اللا أنسانية" آنذاك.

كما وأن هذه الممارسات لم تكن عربية خليجية فقط.. بل شارك بها ومنذ البداية عناصر خارجية من هندية وفارسية وأفريقية وغيرها؛ اختلطت مع النسيج الاجتماعي الخليجي بمرور الوقت. وأخيراً وليس آخراً، وأمام هذا الغبن والتهميش الاجتماعي والمادي المستمر، يُثار تساؤل حول ماهية ردود أفعال العاملين المتضررين تجاه هذا الوضع؟...
عفوية ردود أفعال العاملين وأنحياز القوانين.

لا شك ان الحياة الشاقة للعاملين في صناعة اللؤلؤ على النحو الموصوف أعلاه، دفع العديد منهم للتعبير عن سوء أوضاعهم المعاشية والاجتماعية جراء الغبن وسوء المعاملة التي تلقوها بأستمرار. فعلى سبيل المثال؛ في البحرين ونتيجة للتقدم النسبي في الوعي الفكري، والمستوى الاجتماعي، ولكونها أهم مراكز صناعة وتسويق اللؤلؤ في الخليج؛⁽⁴³⁾ كل ذلك وفر تشخيص بعض ردود الأفعال الصادرة عن ذلك الأرخيل. فعلى سبيل المثال، عبرت مجموعة من العاملين أغلبهم من الغواصين ومساعدتهم سنة 1919 عن احتجاجها على الاستغلال وسوء الاحوال المعاشية. وبلغت ذروة الاحتجاجات أوائل ثلاثينيات القرن الماضي، حيث رُصد احتجاج حوالي 1500 من العاملين في الغوص أمام مقر للشرطة لنفس الاسباب السابقة، وأحتجَ بعض الغواصين إثر أعمال شغب وعنف ضد بعض التجار والممتلكات.⁽⁴⁴⁾

الملاحظ أن تأثير ردود أفعال العاملين كان محدوداً، فأغلب الظن أنها كانت عفوية، غير محددة المطالب والاهداف. وتزامنت مع سعي السلطات البريطانية في الخليج لتشديد سيطرتها على الأرخيل. وفي الكويت حدثت ما بين الحربين العالميتين من القرن الماضي، العديد من الاحتجاجات والمطالب بتحسين الأوضاع. ويعتقد بأن للعاملين الوافدين من جنوب العراق دوراً مهماً في إثارة تلك الاحتجاجات والمطالب، وذلك لأمتلاكهم وعياً اجتماعياً أفضل نسبياً من بقية العاملين في مناطق صناعة اللؤلؤ الأخرى. وفيما يتعلق بأصدار القوانين والتشريعات لتنظيم الحياة المدنية، وإذا ما أنصب البحث على النصف الأول من القرن الماضي، فلا يمكن إلا التكلم عن "نواة" تكوين الدولة الحديثة، وذلك لاعتبارات تاريخية واجتماعية معروفة.

ويهدف تطمين رغبة الحكام والسيوخ المتنفذين لإقامة كيانات خاصة بهم- حصل هذا في وقت لم يكن لدى هؤلاء السيوخ فكرة واضحة عن مفهوم الدولة الحديثة- نصحت السلطات البريطانية المعنيين بأن الأوضاع تتطلب سن بعض القوانين والتشريعات لتسيير أمور الامارات والمشايخ. ومن الانشطة التي شملها هذا السعي صناعة اللؤلؤ لأهميتها الاقتصادية والاجتماعية.

كما قصدت السلطات البريطانية أحلال هذه القوانين والتشريعات محل الاعراف السائدة آنذاك، أو لتعمل معها على أقل تقدير. وبالرغم من قدم صناعة اللؤلؤ في الخليج، والوجود البريطاني فيه يرجع الى قرون سبقت حقبة هذه الدراسة؛ الا ان التشريعات "المنظمة" لهذه الصناعة لم تجد طريقها الى الظهور الا خلال فترة ما بين الحربين العالميتين.

ويرى الرميحي في نصوص قانون الغوص الذي صدر في البحرين عام 1923 والآخر الذي صدر في الكويت عام 1940 أنها أتت في غير صالح العاملين في مهنة الغوص، وإنما لتكريس الواقع المعاش والاعراف السائدة بكل سلبياتها.⁽⁴⁵⁾

كما ويرى أيضاً في القوانين السابقة، والأخرى الصادرة في الساحل العُماني؛ أنها جاءت لتقنين الواقع بما فيه من أعراف، وليس لتغييره نحو الأفضل. فعلى سبيل المثال كان لفئة الطواشين (تجار اللؤلؤ) و (النواخذة) القباطنة كل التأثير في أعداد وصياغة العديد من فقرات القوانين. فمحكمة "السالفة" الخاصة بشؤون الغوص هي عبارة عن هيئة مكونة من النواخذة والتجار وغايتها الفصل في المنازعات الحاصلة بينهم وبين العاملين في الغوص. وكثيراً ما كانت تميل في أحكامها لصالح الفئة الأولى.

ويعتقد الرميحي أنه "لم تكن هناك أداً قوانين، لذلك كانت مرحلة بناء القوانين صعبة وعسيرة. ولا زالت هي كذلك الى اليوم، بعد ان فرض نمط الإنتاج الجديد ضرورة وجود قوانين تحدد علاقات الناس ببعضهم" وذلك على وفق متطلبات الدولة الحديثة.⁽⁴⁶⁾



المبحث الرابع- تحليل الأسس الاجتماعية والمادية التي قامت عليها

علاقات العمل في صناعة اللؤلؤ⁽⁴⁷⁾

مارس أنسان الخليج بأقتدار منذ القدم نشاط أستخراج اللؤلؤ. ولنا في حضارة البحرين دلمون Dilmoun التي نجحت في توصيل "أجمل لألى العالم القديم" الى حسناوات وادي الرافدين خير دليل على ذلك. (48) ومع تتالي العصور تحول هذا النشاط الى حرفة تقليدية تتوارثها الاجيال بأساليبها وأدوات عملها التقليدية.

إن المتمعن بتاريخ هذه الصناعة يستشف بأن وسائل الانتاج وطريقة أستخراج اللؤلؤ لم تختلف في أوائل القرن الماضي عما كان يجري منذ قرون. هذا ما دعا البعض الى الاعتقاد بأن "نظام السلطة الابوية" أو "نظام سلطة رب العمل" Patronat المستمد شرعيته من نظام الطوائف أو نظام الحرف العائلية، هو الذي حكم علاقات العمل في هذا النشاط. (49)

وأذا ما تطلبت تقاليد البحث اللجوء الى أساس أو أنموذج نظري فهل يمكن التفكير بقانون اعادة أنتاج قوة العمل البسيط Force de Travail Simple؟ (50)

هذا المنحى في التحليل لا يبرز كامل أبعاد الظاهرة موضوع البحث، حيث ان تحليل العلاقات في نشاط اللؤلؤ وفق أسس طبقية صناعية- باعتبار الصناعة هي المجال الاوضح لتتبع آلية عمل "صراع الطبقات"- لا يفيدنا كثيراً بهذا الخصوص.

إذ لو كُتِبَ أستمرار نشاط أستخراج اللؤلؤ بكامل حلقاته وتطوره في مناطق أنتاجه موضوع الدراسة، لأمكن تصور قيام طبقة عاملة فاعلة. مع ضرورة أتخاذ بعض التحفظات فيما يتعلق بالتفاصيل.

إن العمل في نشاط أستخراج اللؤلؤ في منطقة الخليج لم تكن كبقية النشاطات التي كانت ميداناً لقيام وتطبيق العديد من الافكار والنظريات رغم انه يشبه في بعض الوجوه ملامح نظام "شبه الإقطاعي".

إن تطبيق التشبيه السابق لا يفيد كثيراً في معالجة النقطة المركزية في آلية عمل هذا النشاط، الا وهي تكبير العاملين وورثتهم بدين مستديم. العامل غالباً ما يحصل على أقل من الحد الأدنى- أجر الكفاف- لأعالة عائلته؛ لذا هو في دين مستديم، أو يكاد.. هل في الامكان تعديل او تطويع القانون السابق الى: قانون أعادة الإنتاج قوة العمل-الوضع المدين؟..

إن التدقيق بطبيعة العلاقات الساندة في مجتمع الغوص أو معظمه يكشف عن ملامح نوع من الروابط "العائلية" في هذه الصناعة كانت تميل الى تحقيق قدر من التكاتف وبشكل خفي وذلك لمقاومة التهميش الاجتماعي والسعي لتحسين الوضع المادي؛ ففي الكويت والبحرين لوحظ عائلية العديد من العائلات الممتدة المرتبطة بهذه الصناعة الى نفس الاصول القبلية.

ان هذا النوع من العلاقات لا بد أنه مبني وفق تراتيب وظيفية "Fonctionnalisme"، وأسس بنيوية Structuraliste.

من الناحية الوظيفية، سبق ان تبين بأن العمل في صناعة اللؤلؤ يرتكز على فئات متخصصة، تتميز الواحدة عن الأخرى بوضوح.

أما من الناحية البنائية، فهو نظام قريب من نظام الطوائف، حيث ان القائمين على هذه الصناعة يجهدون على الدوام بأن تبقى آلية العمل خفية عن الملاحظة، فلا يعلم تفصيلاتها وخفاياها إلا القائمون عليها، والمستفيدون منها.. وهناك من يدخلها ضمن الحرف القائمة على أساس نشاط الصناعة العائلية.

إن نظام العمل في صناعة اللؤلؤ قد يشتمل ظاهرياً على بعض ملامح الانظمة المار ذكرها، إلا ان واقعها مستمد من طبيعة النظام الاجتماعي القبلي وآلية ولاءاته.. أغلب الذين بيدهم القوة المادية - كالعائلات

التجارية التقليدية- والسلطة الاجتماعية، فأذا لم يكونوا من البدو! فهم الى أصول بدوية يرجعون.. هنا يلعب الولاء للجماعة والعشيرة، ومقولة الراعي والرعية، نصرة "المعزب" رب العمل دوراً مركزياً في نظام العمل موضوع الدراسة.. واذا لم يكن لهذه الامور دور في تمشية العمل فكيف يفسر الخضوع الطوعي Hégémonie لسلطة التجار وأرباب العمل؟.

إن التحليل البنيوي لعلاقة رب العمل "المعزب" بالعاملين في صناعة اللؤلؤ يُفصح عن نوع الولاء الاجتماعي لهؤلاء العاملين تجاه رب العمل- بالرغم من كل معاملة سيئة يتلقونها منه- سواء كان نوحذاً أو طواش.. هذا الولاء يأتي مقابل "الرعاية"- وقد يكون ذلك جراء الاعراف الاجتماعية الساندة- التي تتلقاها أسر العاملين من أرباب العمل.. حيث ان الوقوف بوجه "المعزب" وعائلته يشكل احد اهم المحظورات Tabou في هذه المجتمعات.



إن هذا النوع من العلاقات يُفصِح عن طبيعة العلاقات البنوية لمجتمعات الخليج آنذاك. فهي وإن كان أساسها مادياً، إلا أن ظاهرها يُعبر عن تكافل اجتماعي وواقعها خضوعي *Hégémonie*. هذا الرضا الطوعي بسلطة من هم في أعلى الهرم الاجتماعي هو الشكل العام الذي ميز العلاقة بين الطرفين رغم تعارض مصالحهم.. وقبيل الانتهاء لابد من إثارة التساؤل التالي:-

ألم يكن ممكناً لنشاط "أجمل لألى العالم" أن يستمر، ويأخذ بكل أساليب الانتاج العصرية التي أدخلتها مناطق عديدة من العالم المتطور ومنذ ثلاثينيات القرن الماضي؟⁽⁵¹⁾
هذا ممكن ولكن في حالة واحدة :

على المنطقة بادئ ذي بدء معالجة "داء أستبداد النفط" المستشري وذلك بوسائل شتى الاجتماعية منها قبل غيرها.⁽⁵²⁾ ثم يُصار لاجتياح هذه الصناعة الفريدة الى الاستفادة من التقنيات الحديثة المستخدمة في تربية محار اللؤلؤ وأنتاجه كما في اليابان ومناطق عدة من العالم بحيث تتكامل عمليات الانتاج بدأ من الاستخراج مروراً بمرحلة الصقل والتثقيب والتطعيم قبل ان يستقر في ورش ومحلات الصاغة وأسواق اللؤلؤ العالمية. وعند ذلك سيكون أيضاً للمرأة الخليجية المكان المناسب للعمل في هذه الصناعة.



الاستنتاجات

- وبخصوص الاستنتاجات؛ فمن خلال البحث والتقصي بين جوانب هذه الدراسة، ولوجود صلة ذات معنى بين الماضي والحاضر، يُمكن صياغة بعض الاستنتاجات منها:-
- 1- كان لبريطانيا، ومنذ البداية دور هام في إعادة ترتيب الاوضاع في الخليج والجزيرة العربية، وذلك بدعم الزعامات القبلية الموالية، وابعاد الزعامات الاخرى المناوئة. كما ولعبت بريطانيا دوراً رئيساً في تثبيت العديد من الزعامات القبلية، ومن خلفهم من بعدهم؛ وصولاً الى تكوين الدولة الحديثة كما هي عليه اليوم.
 - 2- بالرغم من امتداد شواطئ الخليج، وأحتوانها على ثروة سمكية هائلة، إضافةً الى أهمية التجارة والنقل البحري آنذاك؛ الا ان انتاج اللؤلؤ كان النشاط الرئيس من حيث حجم التشغيل وتكوين العائد الاقتصادي. والأهم لقد كان له دور هام في صياغة الاعراف وتدرج المجتمع هرمياً بالشكل الذي كان عليه. وشغل مجمل الاحداث واهتمامات الحياة اليومية بخاصة خلال موسم أنتاجه.
 - 3- ينصرف ذهن الدارسين لنظام الانتاج وطبيعة العلاقات الانتاجية في صناعة اللؤلؤ، الى توصيف العملية الانتاجية، وطريقة التمويل وطرق وأساليب توزيع العائد. ولم ينتبهوا الى غياب العلاقات الأجرية كنظام مُنفق عليه اجتماعياً واقتصادياً لمكافأة عنصر العمل؛ بأعتبرها الاداة التي تحكم الموازنة المرغوبة بين عرض العمل والطلب عليه في سوق العمل، وعلى هذا الاساس وفيما يتعلق بفرضية البحث المركزية، فمن خلال البحث والتقصي تأكد بان ظروف العمل واحوال العاملين في صناعة اللؤلؤ لم تسدها وعلى الدوام علاقات متوازنة بين العاملين من جهة وارباب العمل من جهة اخرى. وان نظام العمل في هذه الصناعة لم تحكمه علاقات أجرية وحيث؛ هي الاساس الذي يحرك سوق العمل في العصر الحديث اضافة الى دلالاتها الاجتماعية والاقتصادية.
 - 4- بالنسبة الى الموقف من مسألة العبودية؛ لم تجار هذه الدراسة العديد من الاستنتاجات القائلة بأن العاملين كانوا كالعبيد، أو أشباه العبيد الخ بل توصلت الى انه كان هناك فعلاً آلاف العبيد في مناطق مختلفة من الخليج كقطر وساحل الامارات، سُخِّروا للعمل في صناعة اللؤلؤ وقطاعات أخرى بخاصة في الخدمة المنزلية. لقد نُقل العديد منهم- إثر تراجع صناعة اللؤلؤ بعد ثلاثينيات القرن الماضي- الى الصناعة النفطية الناشئة. ولو لم يكن هذا الوضع مستشرياً؛ فما هو مبرر إصدار السلطات البريطانية في الخليج آنذاك اجراءات لمنع الاتجار بالعبيد في المنطقة؟..
 - 5- يُستنتج بأن ما طبع علاقات العمل في هذه الصناعة من غموض، وأزدواجية معيبة في السلوك والتعامل اليومي؛ بخاصة فيما يتعلق بالجدل الدائر حول مسائل هامة كالعدالة في قسمة العائد، وفرض الفوائد العالية على السلف المتنوعة التي كانت تُقدم للعاملين، والتي مثلت الربا بأقسى صورهِ وظروف فرضهِ. والاتجار بالعبيد، وأستخدامهم في اقصى الظروف الخ ... كل ذلك جرى، ومرتكبيه يعلمون علم اليقين بأن ذلك يتعارض ويتنافى مع تعاليم الاسلام! كالحكم بالعدل على اعتبار ان الحكم بين الناس لا يكون إلا بالعدل. وتحريم الربا تحريماً قاطعاً لا ليس فيه. والمساواة بين الناس بخاصة فيما يتعلق بالعرق واللون .. على اعتبار ان الناس سواسية كأسنان المشط. ولا فرق فيما بينهم الا بالقوى. ولا سبيل لأخذ السلطان إلا بالحق.
 - 6- إن واقع الحال اليوم- حقبة الثراء النفطي- يُثبت بأن أنخراط العمل المحلي- فيما سبق- في الاعمال اليدوية؛ والشاقة منها على وجه التخصيص سواء في نشاط اللؤلؤ؛ أم في غيره من الاعمال؛ لم يكن ناتجاً عن خيار أو توجه ذاتي نحو هذا الصنف من الاعمال! بقدر ما كان ناتجاً عن حاجة ماسة؛ وعدم وجود خيارات بديلة للكسب آنذاك.. وحيث لم تمنعهم العادات والتقاليد البدوية التي تساق اليوم كحجة لتبرير عزوف المواطنين عن الاعمال اليدوية.
 - 7- يتبين للمطلع على حجم وأهمية العمل الوافد الى صناعة اللؤلؤ بأن ظاهرة العمالة الوافدة الى الخليج لا تقتصر فقط بحقبة الثراء النفطي، كما يتصور العديد من المهتمين بأمور المنطقة! بل هي ظاهرة قديمة ترجع الى حقبة سابقة على أنتاجه.
 - 8- يمكن الاستنتاج بان ظهور اللؤلؤ "الرخيص" المستزرع في اليابان، ومناطق اخرى من العالم بكميات كبيرة- غير معهودة في طريقة انتاج اللؤلؤ الطبيعي- واسعار متدنية؛ اخرج اللؤلؤ من كونه سلعة رخيصة (مرتفعة الثمن) يخضع الطلب عليها الى استثناءات قانون الطلب باعتبارها من سلع الاغنياء الباحثين عن المظاهر والمباهاة؛ وحيث تزداد الرغبة لاقتناءها كلما ندر وجودها وارتفع سعرها.
 - 9- لم تول اغلب اعمال الرحالة وبحوث المهتمين والدراسات المعاصرة خلال استعراضها لاعداد العاملين في صناعة اللؤلؤ، الاهتمام اللازم فيما يتعلق بالفصل بين اعداد المحليين والوافدين، لما لهذا الفصل من اهمية في تدارس مستقبل الاوضاع الاجتماعية والسياسية للمجتمع الخليجي.



فعلى اثر تزايد العوائد النفطية منذ اوائل سبعينات القرن الماضي؛ تزايد معها اعداد الوافدين، بحيث اعتبرت هذه الظاهرة من اهم الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة. وحيث يشكل المواطنون اليوم اقلية في اوطانهم كما في قطر والكويت ودولة الامارات.. وأخيراً يشعر المرء أن كثيراً مما كتب مازالت نهاياته مفتوحة.. وأغلب الظن أنه قد يُثير بعض الملاحظات والنقد البناء!.. ولكن أليس هذا هو السبيل لتدعيم الافكار وأنصاجها؟..

الهوامش

- (1) قام مجلس التعاون الخليجي عام 1981 من الدول الست التالية: دولة الكويت، المملكة العربية السعودية، دولة قطر، مملكة البحرين، دولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان. اما مكامن جمع المحار التي تُدعى محلياً "بالهيرات" والمفردة "هير" فتمتد من الكويت حتى مضيق هرمز. واهمها هيرات الكويت، القطيف، البحرين وجزرها، قطر، الشارقة (ساحل الامارات)، عُمان. للاستزادة راجع <http://www.kuwait-history.net> د. فارس الفارس، مغاصات اللؤلؤ تمتد على الساحل العربي، جريدة الخليج الاماراتية.
 - (2) تمكنت سفن القوى البحرية الاوربية وبخاصة بريطانيا وشركاتها التجارية بعد افتتاح قناة السويس سنة 1869 من ايصال تجارة الشرق الى اوربا بكلفة نقل تقل عن كلفة نقل البضائع المنقولة عبر وادي الرافدين والجزيرة العربية، حيث المخاطر والرسوم المتكررة ونفقات الأدلاء المرتفعة؛ حتى ان هذه النفقات الاخيرة كثيراً ما كانت تفوق نفقات النقل نفسها.
 - (3) للاستزادة حول هذه الموضوعات راجع:
 - توفيق يونان عبد الله، العلاقة التجارية بين العراق وباقي أقطار الخليج العربي، أطروحة دبلوم عال، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، 1975 ص ص 7-18.
 - د. توفيق يونان عبد الله، الخليج والجزيرة العربية قبل النفط، بيت الحكمة، مجلة دراسات اجتماعية، العدد 20، بغداد، 2009، ص ص 136-148.
 - د. خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987، ص ص 137-140.
 - روز ماري زحلان، الوحدة والحكم البريطاني: حالة دولة الامارات العربية المتحدة، في ندوة تجربة دولة الامارات العربية المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1981، ص 117.
 - محمود علي الداود، عوامل الوحدة والتجزئة في الجزيرة العربية، في ندوة تجربة دولة الامارات العربية المتحدة، مصدر سبق ذكره ص ص 44-47.
 - (4) باقر النجار، حلم الهجرة للثروة، الطبعة الاولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 55.
 - (5) بخصوص تجارة الرقيق في الخليج العربي راجع بحث الدكتور اسماعيل احمد ياغي الموسوم بـ "بريطانيا وتجارة الرقيق" في مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، الصفحات 179-200.
 - (6) باقر النجار، حلم الهجرة للثروة، مصدر سبق ذكره ص 55.
 - (7) John Gordon Lorimer; gazetteer of the Persian Gulf, completed and edited by R.L. Birdwood, 6 vol, Calcutta, Superintendent Govt, printing 1908-1915, republished by international pub, London, 1970.
- *يلاحظ على سبيل المثال الارقام الواردة على جدول رقم (1) لاحقاً.
- (8) يبدأ موسم صناعة اللؤلؤ عادة من اوائل ايار الى نهاية تشرين الاول. إلا ان الموسم الرئيس يفتتح رسمياً خلال الفترة تموز- أيلول من كل سنة، ويدعى بالموسم الكبير.
 - (9) اعتماداً على آلية التوازن Régulation في نظرية النظام العام Théorie du Système general.



- (10) منهم:- د. خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987، ص 93.
- د. اسماعيل احمد ياغي، بريطانيا وتجارة الرقيق، مصدر سبق ذكره، ص ص 179- 200.
- محمد الفراء، التنمية الاقتصادية في الكويت، جامعة الكويت، 1974.
- باقر النجار، سياسة التوظيف في الشركات النفطية لدول الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 48، الكويت، 1986، ص 89 وما بعدها.
- J.G Lorimer, Gazetten of Persian gulf, OP cit, Vol 2.
- (11) Ian Seccombe and Richard I. Lawless: Duty shaikhs, subcontractors and recruiting agents: the impact of the international oil industry on recruitment and employment in Persian/ Arabian gulf, 1900-1950. In ORIENT, Economics of the Middle East, № 2 Hamburg, Juin 1986, P.252.
- (12) د. خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، مصدر سبق ذكره، ص 93.
- محمد رياض، الخليج والخليجيون قبل عام 1930، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد 39، الكويت، 1983، ص 249.
- د. اسماعيل احمد ياغي، بريطانيا وتجارة الرقيق، مصدر سبق ذكره.
- (13) باقر النجار، "سياسة التوظيف في الشركات النفطية بدول الخليج العربي"، مصدر سبق ذكره، ص 91
- (14) I.J.Seccombe; Labour Migration to the Arabian Gulf: Evolution and characteristics 1920-1950, Bulletin of British Society for the Middle Eastern studies, Vol 10, №1, 1983, p3.
- (15) اللؤلؤ المستزرع لا يضاهاى الآخر الطبيعي من حيث الجودة والوزن واللمعان والنقاء..
- (16) اسباب "افول نجم" اللؤلؤ عالمياً:
- ظهور اللؤلؤ المستزرع بكميات كبيرة.
- تدايعات الازمة العالمية 1929.
- ظهور النفط في المنطقة حيث ادار أهل الخليج ظهورهم كلياً لصناعة اللؤلؤ.
- لكثرة عرضه وخفض أسعاره، لم يعد اللؤلؤ من مقتنيات الباحثين على "سلع المباهاة" من اصحاب الثروة في أوروبا وأمريكا.
- (17) Ian j. Seccombe and Richard I. Lawless Duty shaikhs, subcontractors and recruiting agents, OP. cit P.P 252-253.
- (18) باقر النجار، سياسة التوظيف في الشركات النفطية بدول الخليج العربي، مصدر سبق ذكره، ص 92.
- (19) اسواق العمل في العصر الحديث هي التي تجمع وتنظم علاقات العمل بين الاطراف الاجتماعية المشاركة في العملية الانتاجية، وذلك وفق الية العرض والطلب على العمل بانواعه وصولاً الى حالة التوازن المرغوبة. وتعمل هذه الاسواق على ضمان حقوق وامتيازات العاملين من جهة، وواجباتهم تجاه رب العمل (فرد او مؤسسة) من جهة اخرى.
- (20) يُعبر نظام العمل في صناعة اللؤلؤ عن تقسم اجتماعي هرمي التكوين، يقف النوخذة (القبطان) والطواش (تاجر اللؤلؤ) على رأس هذا الهرم، وهم أرفع فئات المجتمع في الكويت وبقية مناطق صناعة اللؤلؤ كافة. وتفصح تراتبيه الوظيفية وجود- على الاغلب- تسع فئات مقسمة بدقة حسب نوع العمل الذي تقوم به كل فئة.
- يأتي في المقدمة كل من:
- 1- التاجر "الطواش" جمعها طواشون او طواويش Tawawish: وهم فئة من التجار الكبار مستقرة في قرى ومدن الساحل تتعامل ببيع وشراء وتمويل عمليات انتاج اللؤلؤ، وفئة أقل ثراءً تجوب مغاصات اللؤلؤ خلال الموسم لشراء الانتاج مباشرة من السفن العاملة، 2- "النوخدا" Naukhuda كلمة فارسية اصلاً وتعني الزبان وقد يكون مالك للسفينة لا يعصى له امراً، 3- الغواص: وجمعها غواصون أو "غواويص" Ghawawis وهو محور العملية الانتاجية ومهمته الغوص الى الاعماق لجمع محار اللؤلؤ، 4- السيب: دوره "حساس" وهو سحب الغواص الى وجه الماء بواسطة حبل مُعد لهذا الغرض، 5- الرضيف: مساعد السيب، 6- التياب: عادةً هو الشخص أو "الصبي" الذي يتدرب على أعمال السيب وقد يقوم بأعمال بسيطة قوامها خدمة النوخذة. وهناك عادة 7- المقدمي (المجمدي): رئيس البحارة، 8- السكوني: ماسك الدفة، 9- النهام: منشد أو مطرب أيقاعي وله دور هام في تنشيط العمل ورفع حماس العاملين.
- (21) تشتمل أهم المستلزمات عادةً مواد غذائية قوامها الارز "عيش"، التمر، سكر، شاي، دهن، حطب، خزانات خشبية "فنتاس" لماء الشرب الخ...



(22) يبدأ موسم الغوص عادةً في أوائل شهر أيار، ويستمر حتى نهاية تشرين الأول. إلا ان الموسم الرئيس "الكبير" يفتتح رسمياً أوائل تموز ويستمر الى أواخر أيلول.

(23) د. محمد غانم الرميحي، البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، الطبعة الثانية، شركة كاظمة، الكويت، 1984، ص60.

(24) ان الثوابت الاساسية للشريعة الاسلامية، برفضها للمنحرف من القيم الفردية المادية، تتقاطع مع وعي الافراد الاجتماعي الموروث بقيمه العشائرية الضيقة منها. لذا فان جانباً من الغموض في سلوك الافراد خلال تعاملهم المادي، يكون نابغاً من الصراع الدائر بين هذه القيم المادية والعشائرية الضيقة، وتعاليم الشريعة الاسلامية المعروفة بانفتاحها على الجميع دونما تمييز، الا بقدر ما يتعلق بدرجة الايمان بهذه التعاليم.

(25) د. بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي 1913-1961، جامعة الكويت، 1972، ص217.

(26) قد يتقارب هذا النظام أسلوب "البيع على الاخضر" الذي كان معمولاً به جنوب العراق، فيما اذا قُصد من الاسلوب الاخير ربط الفلاح على توالي المواسم الزراعية بالعمل عند نفس الملاك "صاحب الارض".

(27) د. محمد غانم الرميحي، أسلوب الانتاج وعلاقاته في مجتمعات الخليج قبل النفط، في ندوة الانسان والمجتمع في الخليج العربي، الكتاب الاول، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1979، ص43.

(28) M.G. AL Rumaihi, The mode of production in the Arab Gulf before the discovery of oil. In Tim Niblock edition, social and Economic Development in the Arab Gulf, croam helm, London, 1980, pp 55,56

(29) مسألة الوقوع في فخ الديون لم تمس آنذاك قطاع اللؤلؤ فقط، بل ان الزراعة وتربية الحيوانات- المصدر الثاني للرزق آنذاك- عانت من هذه الاشكالية بطريقة أو بأخرى وبخاصة في البحرين حيث يستحوذ متنفذون من حكام وشيوخ على الاراضي الزراعية. لقد كانت العلاقة بين ملاك الاراضي والمزارعين البسطاء على درجة من التوتر، وخاصة فيما يتعلق بانتاج التمور، حيث يلزم المزارع مسبقاً بتقديم وزن أو حجم معين من الحاصل مهما كانت ظروف الموسم الزراعي. وفي حال شح الانتاج يضطر المزارع المتعاقد الى تأمين الفرق من السوق. وكثيراً ما عانى الفلاحون من ضيق العيش والوقوع في ديون مستديمة. للأستزادة راجع:-

د. محمد الرميحي، البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سبق ذكره، ص 64-67.

(30) د. بدرالدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي، مصدر سبق ذكره، ص218.

(31) نُورد أدناه توزيع افتراضي للعاملين وتخصصاتهم على ظهر سفينة صيد اللؤلؤ عليها 30 شخص كالاتي:

التخصص	العدد
نوخذا (قبطان)	1
الجدعي مساعد النوخذة	1
المجدمي رئيس البحارة	1
الغواصين	12
السيوب (جمع سيب)	15

(32) د. بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي، مصدر سبق ذكره، ص216.

(33) تُخصم حصة للحكام من شيوخ وأمرء، وتحدد نسبتها حسب المناطق.



(34) يُقدّر ان متوسط نصيب العامل في صناعة اللؤلؤ لم يكن يتجاوز (100) روبية (حوالي 35 دولار) خلال الموسم الواحد، وذلك حسب اسعار الصرف قبل الحرب العالمية الاولى. للأستزادة راجع بهذا الخصوص:

د. حسن علي الابراهيم، الكويت: دراسة سياسية، دار البيان للنشر، الكويت، دار النهار للنشر، بيروت، 1972، ص112.

(35) أحمد سعيد الاصبحي، بنية الطبقة العاملة في الكويت 1942-1980، في دراسات حول الطبقة العاملة في العالم العربي، منظمة العمل العربية، منشورات المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل في الجزائر، العدد الرابع، الجزائر، 1983، ص251.

(36) غالباً ما يتعرض العاملون وبخاصة الغواصين سواء في الكويت او في مناطق الانتاج الاخرى لأشد انواع التعسف والقسوة والعقاب كمنعهم من الطعام، وربطهم على ساري السفينة بعد ضربهم، الخ... للأستزادة راجع: د. بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي، مصدر سبق ذكره، ص ص 218,219 (الهامش).

(37) عزيز سباهي، نشأة وتطور الطبقة العاملة في البحرين، في دراسات حول الطبقة العاملة في العالم العربي، منظمة العمل العربية، منشورات المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل في الجزائر، العدد الرابع، الجزائر، 1983، ص279.

(38) احمد سعيد الاصبحي، بنية الطبقة العاملة في الكويت، 1942-1980، في دراسات حول الطبقة العاملة في الوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص251.

(39) Ian J. Seccombe and Richard I. Lawless. Duty Shaikhs, Subcontractors and recruiting agents: the impact of the international oil industry on recruitment and employment in the Persian/Arabian Gulf, 1900-1950, in ORIENT. Deutsches orient-institut Hamburg, 1986, pp. 252-253,261.

(40) د. باقر سلمان النجار، حلم الهجرة للثروة: الهجرة والعمالة المهاجرة في الخليج العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، 2001، ص57.

(41) Ian J. Seccombe, "Labour Migration to the Arabian Gulf", op. cit, p3.

(42) يرى الخصوصي وهو أحد المطلعين عن قرب على تفاصيل صناعة الغوص في الكويت: "إن نظام الغوص في حد ذاته نظام قاس قائم على العرف الذي أرتضاه الجميع شأواوا ام أبوا، وهو في جملته يقوم على الطاعة العمياء "للنوخذة" والرزوح تحت طائل التسلسل الطبقي للغوص كظاهرة اجتماعية يترتب على قمتها كبار "الطواشين" في حين يأتي البحارة- وهم قوام عملية الغوص- في القاعدة حيث يتعرضون لأشد أنواع التعسف والعقاب".

راجع بهذا الخصوص: د. بدرالدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي 1913-1961، مصدر سبق ذكره، ص218.

(43) يذكر لوريمر J. Lorimer أن أكثر الاماكن أنتاجاً للؤلؤ في الخليج تقع شمال وشرق جزيرة البحرين وأن حوالي 35% من الانتاج سنة 1947 مصدره المناطق المحيطة بها.

راجع بهذا الخصوص: د. بدرالدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي 1913-1961، مصدر سبق ذكره، ص202، (الهامش).

(44) د. محمد غانم الرميحي، البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، الطبعة الثانية، شركة كاظمة، الكويت، 1984، ص50

كذلك:

Ian J. Seccombe and Richard I. Lawless, Duty shaikhs, subcontractors and recruiting agents op cit. pp 252-253.

(45) محمد غانم الرميحي، أسلوب الانتاج وطبيعة العلاقات الانتاجية، مصدر سبق ذكره، ص49.

(46) للأستزادة راجع: محمد الرميحي، أسلوب الانتاج في مجتمعات الخليج قبل النفط، مصدر سبق ذكره، ص50 وما بعدها.

(47) يرى صالح الحنظل مؤلف مُعجم الغوص واللؤلؤ في الخليج العربي: "إن عالم الغوص واللؤلؤ وحد الفكر الاقتصادي الخليجي، ووحد لغة التعامل المالي، كما أوجد نظاماً اجتماعياً موحداً". راجع بهذا الخصوص: صيد اللؤلؤ عبق الماضي والحنين اليه، <http://www.elaph.com> العدد 2942 الخميس 11/حزيران/2009.



- (48) كان لمراكز الحضارة في عُمان وأرخبيل البحرين Dilmoun أو Tylos، وذلك حوالي الالف الثاني قبل الميلاد علاقات تبادل متنوعة وصلت أوجها حوالي 900ق.م في ظل سيادة الآشوريين ومملكة بابل الثانية.. وفي عصور لاحقة مع العباسيين ببغداد في ظل سيادة الدولة الاسلامية.
- (49) عزيز سباهي، نشأة وتطور الطبقة العاملة في البحرين، في دراسات حول الطبقة العاملة في العالم العربي، مصدر سبق ذكره، ص 279.
- (50) قانون إعادة إنتاج قوة العمل "اليسيط" وذلك حسب مقياس كفاءة العاملين المنمط، ويُقصد به فئة العمال غير الماهرين، أو العمل اليدوي الرتيب.
- (51) يملك حالياً الغواص (الغطاس) القطري سعد اسماعيل مزرعة للؤلؤ في قطر، وهي على غرار المزارع اليابانية. لقد خير سعد وهو من الغواصين الاوائل الكثير عن اسرار هذه المهنة الشاقة ومخاطرها آنذاك. للاستزادة راجع:
- خالد طه، صيد اللؤلؤ عقب الماضي والحنين اليه، مصدر سبق ذكره.
- (52) لأعطاء فكرة متكاملة عن هذه الظاهرة نحيل القارئ الى مؤلف النفط والاستبداد المتضمن آراء مجموعة كُتاب وباحثين، الصادر عن معهد الدراسات الاستراتيجية، بطبعته الاولى، بيروت، 2007، 400 صفحة.



المصادر بالعربية

- 1- أحمد سعيد الاصبحي، بنية الطبقة العاملة في الكويت 1942-1980، في دراسات حول الطبقة العاملة في العالم العربي، منظمة العمل العربية، منشورات المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل في الجزائر، العدد الرابع، الجزائر، 1983.
- 2- دوارد مورس؛ توماس بالي واخرون، النفط والاستبداد: الاقتصاد السياسي للدولة الريعانية، معهد الدراسات الاستراتيجية، مترجم عن الانكليزية، الطبعة الاولى، العراق، 2007.
- 3- د. أسماعيل احمد ياغي، بريطانيا وتجارة الرقيق، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة.
- 4- د. باقر سلمان النجار، حلم الهجرة للثروة: الهجرة والعمالة المهاجرة في الخليج العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، 2001.
- 5- باقر النجار، سياسة التوظيف في الشركات النفطية لدول الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 48، الكويت، 1986.
- 6- باقر النجار، حلم الهجرة للثروة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، 2001.
- 7- د. بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي 1913-1961 جامعة الكويت، 1992.
- 8- توفيق يونان عبدالله، العلاقة التجارية بين العراق وباقي أقطار الخليج العربي، أطروحة دبلوم عال، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، 1975.
- 9- د. توفيق يونان عبدالله، الخليج والجزيرة العربية قبل النفط، بيت الحكمة، مجلة دراسات اجتماعية، العدد 20، بغداد، 2009.
- 10 - خالد طه، صيد اللؤلؤ عقب الماضي والحنين اليه، جريدة ايلاف، 2005/10/21، في: <http://www.elaph.com>
- 11- د. حسن علي الابراهيم، الكويت: دراسة سياسية، دار البيان للنشر، الكويت، دار النهار للنشر، بيروت 1972.
- 12- د. خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987.
- 13- روزماري زحلان، الوحدة والحكم البريطاني: حالة الامارات العربية المتحدة، في ندوة تجربة دولة الامارات العربية المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1981.
- 14- عزيز سباهي، نشأة الطبقة العاملة في البحرين، في دراسات حول الطبقة العاملة في العالم العربي، منظمة العمل العربية، منشورات المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل في الجزائر، العدد الرابع، الجزائر، 1983.
- 15- د. فارس الفارس، مغاصات اللؤلؤ تمتد على الساحل العربي، جريدة الخليج الاماراتية <http://www.kuwait-history.net>
- 16- محمد الفراء، التنمية الاقتصادية في الكويت، جامعة الكويت، 1974.
- 17- د. محمد الرميحي، البحرين: مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، الطبعة الثانية، شركة كاظمة، الكويت، 1984.
- 18- د. محمد غانم الرميحي، أسلوب الانتاج وعلاقاته في مجتمعات الخليج قبل النفط، في ندوة الانسان والمجتمع في الخليج العربي، الكتاب الاول، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1979
- 19- محمد رياض، الخليج والخليجيون قبل عام 1930، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد 39، الكويت، 1983.
- 20- محمود علي الداود، عوامل الوحدة والتجزئة في الجزيرة العربية في ندوة تجربة دولة الامارات العربية المتحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1981.

المصادر بالانكليزية



- 1- Dr. Husain M. AL-Baharna, The Arabian Gulf States, Tien Wah Press, Singapore, 1978.
- 2- Ian J. Seccombe and Richard I. Lawless: Duty Shaikhs, subcontractors and recruiting agents: the impact of the international oil industry on recruitment and employment in Persian /Arabian Gulf, 1900-1950 in ORIENT, Economics of the Middle East, № 2 Hamburg, 1986.
- 3- Ian J. Seccombe; Labour Migration to the Arabian Gulf: Evaluation and characteristics 1920-1950, Bulletin of British Society for the Middle Eastern studies, Vol.10, № 1. 1983.
- 4- John Gordon Lorimer; gazetteer of the Persian Gulf, completed and edited by R.L. Birdwood, 6vol., Superintendent Gout, Printing 1908-1915, republished by international pub, London, 1970.
- 5- M. G. AL Rumaihi, The mode of production in the Arab Gulf before the discovery of oil. In Tim Niblock edition, Social and Economic Development in the Arab Gulf, croam helm, London, 1980.

Summary

Since a long time, By reason of limitation of the natural resources, the Gulf's residents devoted their activities towards the sea: fishing, pearl industry: the essential element in the employment and creation the economic surplus in the region at that time.

The importance of this activity increased especially after the second half of the nineteenth century, by reason of the flourishing of international pearl trade and opening up the Gulf region towards the European country that be present at the industrial development.

The pearl industry that considered being an important commodity carried out under special labour system.

The number of the employment in this industry was between 20-25% from the total number in the region during the first quarter of the twentieth century.

In addition of the local employment, there was employments from Iran, India, Pakistan and another number from east Africa that was be among them a large number of slaves, work in pearl industry in spite of the British authorities prevent the piracy acts and the slaves trade in the Gulf and Indian Ocean.

Ordering functional in pearl industry declare that there was nine echelon divided specifically according to type of work that every echelon work with it. And the two effective elements in the producing operation are:

– The financier: that grant to workers advances with interest reach to 25% per season (four months).

– The diver and his assistant: the diver is the most important connecting link in the producing operation where there was a (paradox), and they were the most losers in the producing operation materially and socially .

The professional did not know any kind of wages system but it was working according to a sort quota system and usually the divers and their assistants unable to pay their advance and previous debts with interest.

The central point: that the workers usually kept in durable debt and that authorize the financier (merchant) according to custom in that time to keep the divers and their assistants in the same work in the following seasons. Maybe to the end of life for some of them.